الإصدار السابع
المجلد (2) العدد (4)
25 أكتوبر 2026
المجلة السعودية للدراسات التربوية والإنسانية

الفرق الكلاميّة وأثرها في تشكيل المنظومة الأخلاقيّة في الإسلام: دراسة تحليليّة مقارنة

د. الخامسة الرّويهم
(أستاذ مساعد بالمعهد العالي للعلوم الإنسانيّة بجندوبة)

https://doi.org/10.65723/RMSP4012

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تبيان أثر الفرق الكلاميّة في تشكيل المنظومة الأخلاقيّة في الإسلام، من خلال التّركيز على أبرز المدارس الكلاميّة ومرتكزاتها الفكريّة، وهي المعتزلة، والأشاعرة، والماتريديّة، وأهل الحديث، والكشف عن انعكاس اختلافاتها العقديّة على بناء المفاهيم الأخلاقيّة المحوريّة، مثل: الحرّيّة، والعدل، والمسؤوليّة والحسن والتّقبيح، ومعيار الخير والشّر، وقد اعتمد البحث على المنهج التّحليلي المقارن، من خلال تحليل النّصوص الكلاميّة المؤسّسة ومقارنة تصوّرات الأخلاق والقيم.

وقد خلصت الدّراسة إلى أنّ الخلافات الكلاميّة لم تقتصر على المجال العقدي، بل امتدّ أثرها إلى تأسيس رؤى أخلاقيّة متباينة بشأن مصدر القيمة ومعيار الإلزام الأخلاقي، الأمر الذي أسهم في إثراء الفكر الإسلامي وإنتاج تعدّديّة أخلاقيّة عكست حيويّة الاجتهاد الكلامي وأثره في بناء الحضارة الإسلاميّة. وبيّن هذا البحث في الأخير أنّ علم الكلام لم يكن مجرّد علم للدّفاع عن العقيدة، بل مثّل حقلا من الحقول المعرفيّة المؤسّسة للتّفكير الأخلاقي في التّراث الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: علم الكلام، الفرق الإسلامية، القيم، الأخلاق، المعتزلة، الأشاعرة، العدل، الحرّيّة.

Abstract:

Good research aims to demonstrate the impact of theological sects on shaping the ethical system in Islam, by focusing on the most prominent theological schools and their intellectual foundations, namely the Mu'tazilites, the Ash'arites, the Maturidites, and the Ahl al-Hadith, and revealing the reflection of their doctrinal differences on the construction of pivotal ethical concepts, such as: freedom and justice, responsibility, good and evil, and the standard of good and evil. The research adopted the comparative analytical method through the analysis of foundational theological texts and the comparison of conceptions of ethics and values.

The study concluded that theological disagreements were not limited to the doctrinal sphere but extended to the establishment of differing ethical visions regarding the source of value and the standard of moral obligation. This contributed to enriching Islamic thought and producing an ethical pluralism that reflected the vitality of theological reasoning and its impact on building Islamic civilization.

This research ultimately demonstrated that Islamic theology was not merely a science for defending doctrine but rather represented a field of knowledge that established ethical thinking in the Islamic tradition.
Keywords: Islamic theology, Islamic sects, values, ethics, Mu'tazilites, Ash'arites, justice.

المقدّمة

لا أحد ينكر أنّ علم الكلام يمثّل أحد أهم الحقول المعرفيّة التي أسهمت في تشكيل البنية الفكريّة للحضارة الإسلاميّة، لأنّ دوره لم يقتصر على الدّفاع عن العقيدة الإسلاميّة ضدّ الأطروحات المناوئة، بل تجاوز ذلك إلى بناء منظومة فكريّة متكاملة امتدّت آثارها إلى مجالات مختلفة للمعرفة، وفي مقدّمتها المجال الأخلاقي. فقد ارتبطت القضايا الكلاميّة المركزيّة مثل الحرّيّة الإنسانيّة، والعدل الإلهي، وقضيّة الخير والشّر، والحسن والتّقبيح ارتباطا وثيقا بالسّؤال الأخلاقي، لأنّ الغاية من البحث في مثل هذه المسائل لم تكن تستهدف بدرجة أولى حسم الخلاف العقدي فحسب، وإنّما كان يسعى أيضا إلى ضبط الأسس التي يقوم عليها الفعل الإنساني، ومصدر الإلزام الأخلاقي، ومعيار التّمييز بين الخير والشّر.

وانطلاقا ممّا تقدّم بيانه لم يكن الاختلاف بين الفرق الكلاميّة اختلافا في القضايا العقديّة المجرّدة، بل كان اختلافا في المرجعيّات المعرفيّة التي تؤسّس للقيم وللأخلاق. فالمعتزلة انطلقت من فكرة أنّ العقل هو المركز لإدراك الحسن والقبح وبالتّالي ربطت المسؤوليّة الأخلاقيّة بعدل الله وحريّة الإنسان، أمّا الأشاعرة فقد جعلوا من الإرادة الإلهيّة والخطاب الشرعي أساسا للقيمة والإلزام، أمّا الماتريديّة فقد سعت إلى إقامة توازن بين مقتضيات العقل وسلطة الوحي، بينما أكّد أهل الحديث على أهمّيّة النّص وسلطته في تأسيس الأحكام الأخلاقيّة. وهذا التّنوّع بين الفرق الكلاميّة أسهم في إنتاج رؤى أخلاقيّة متنوّعة داخل الفكر الإسلامي، فالاختلاف في المنطلقات النّظريّة واضح وبيّن، ولكن يجمعها الانضواء تحت المرجعيّة الإسلاميّة الجامعة.

وتظهر أهمّيّة هذا الموضوع في الاهتمام المتنامي التي توليه الدراسات الفلسفيّة المعاصرة لمسألة تأسيس الأخلاق والبحث في مصادر القيمة ومعايير الإلزام، فالتّراث الكلامي الإسلامي يتيح إمكانات معرفيّة ثريّة لإعادة التّفكير في هذه القضايا، من خلال ما قدّمه من تصوّرات مختلفة في مسألة الحرّيّة الإنسانيّة، والعلاقة بين العقل والنّص (الوحي)، والعدل الإلهي، والمسؤوليّة الأخلاقيّة، ومن هذا المنطلق فإنّ إعادة قراءة الفرق الكلاميّة من منظور فلسفة الأخلاق لا تعني البتّة إعادة استحضار الخلافات المذهبيّة بقدر ما تهدف إلى الكشف عن إسهامها في بناء النظريّة الأخلاقيّ وبيان قدرتها على الإسهام في إثراء النّقاشات الأخلاقيّة المعاصرة.

إنّ الدّراسات التي اعتنت بالحديث عن الفرق الكلامية كثيرة ولكن رغم كثرتها فإنّها لم تتناول البعد الأخلاقي للقضايا الكلاميّة المطروحة بل كان جلّ اهتمامها منصبّا حول دراسة الفرق الكلاميّة من النّاحية العقديّة أو التّاريخيّة، لهذا بقي البعد الأخلاقي لجلّ القضايا الفكريّة الكلاميّة يحظى باهتمام أقل، ومن هنا تنبع أهمّيّة هذه الدّراسة التي تسعى إلى سدّ جانب من هذا النّقص، من خلال تحليل العلاقة بين الاختلاف الكلامي وبناء القيم الأخلاقية، وبيان الكيفيّة التي بها أسهمت الفرق الكلاميّة في تأسيس تصوّرات مختلفة لمفاهيم الحرّيّة، والعدل، والحسن والقبح، والمسؤوليّة الأخلاقيّة.

وانطلاقا من كلّ ما تقدّم تتمثل الإشكاليّة الرئيسة للدّراسة في إبراز أثر الاختلافات بين الفرق الكلاميّة في تشكيل المنظومة الأخلاقيّة في الإسلام، وذلك من خلال دراسة تحليليّة مقارنة لمرتكزاتها المعرفيّة ومواقفها من القضايا الأخلاقيّة المؤسّسة، وصولا إلى بيان أنّ علم الكلام الإسلامي لم يكن مجرّد علم للدّفاع عن العقيدة الإسلامية ضدّ المخالفين، بل كان أيضا أحد المصادر الرّئيسة التي أسهمت في بناء الفكر الأخلاقي الإسلامي، وساهمت في تطوير منظومة القيم داخل الحضارة الإسلاميّة.

وانطلاقا من كلّ ما ذكر فإنّ هذه الدّراسة تنطلق من أطروحة مفادها أنّ الاختلافات بين الفرق الكلاميّة لم تكن مجرّد خلافات عقديّة، بل مثّلت اختلافا في الأسس المعرفيّة التي قامت عليها المنظومة الأخلاقيّة في الإسلام، وأسهمت في إنتاج تصوّرات متعدّدة لمصدر القيمة ومعيار الإلزام الأخلاقي، وحدود الحرّيّة الإنسانيّة والمسؤوليّة، ومن هنا لا يمكن النّظر إلى علم الكلام بوصفه علما للدّفاع عن العقيدة فحسب، بل بوصفه أحد الحقول المؤسّسة للنّظريّة الأخلاقيّة في الفكر الإسلامي.

أهمّيّة الدّراسة:

تكتسي هذه الدّراسة أهمّيتها من كونها تناولت أحد الجوانب التي لم تحظ بالأهمّيّة الكافية في الحقل الكلامي وهو أثر الاختلافات بين الفرق الكلاميّة في تشكيل المنظومة الأخلاقيّة في الإسلام وتبرز أهمّيّة هذه الدّراسة في:

- محاولة إعادة قراءة التراث الكلامي بوصفه أحد الحقول المؤسّسة للفكر الأخلاقي الإسلامي وبيان أنّ هذا العلم ليس موجّها فقط للدّفاع عن العقيدة والرّد على الخصوم.
- تبيان أثر المرجعيّات العقديّة والمعرفيّة للفرق الكلاميّة في بناء مفاهيم الحريّة، الحسن والقبح، العدل والمسؤوليّة، ومعيار الخير والشّر.
- المساهمة في ربط مباحث علم الكلام بالدّراسات المعاصرة في فلسفة الأخلاق، وهذا من شأنه أن يسهم في توسيع آفاق البحث في التّراث الإسلامي وإبراز قدرته على التّفاعل مع الإشكالات الأخلاقيّة الرّاهنة.
- محاولة تقديم دراسة تحليليّة مقارنة يمكن أن تقدّم إضافة علميّة للدّراسات المهتمّة بالعلاقة بين العقيدة والأخلاق، وتسهم في فتح آفاق بحثيّة جديدة في مجال الفكر الإسلامي.

أهداف الدّراسة:

يسعى هذا البحث لتحقيق جملة من الأهداف من بينها:

- الوقوف على العلاقة بين الفرق الكلاميّة والمنظومة الأخلاقيّة في الإسلام، والكشف عن طبيعة هذه العلاقة وأسسها الفكريّة.
- تحليل المرتكزات الفكريّة والمعرفيّة التي استندت إليها أبرز الفرق الكلاميّة في تأسيس تصوّراتها الأخلاقيّة.
- بيان أثر الاختلاف الكلامي في بناء المفاهيم الأخلاقيّة المركزيّة كالحرّيّة، والعدل، والمسؤوليّة، والحسن والقبح، ومعيار الخير والشّر.
- إنشاء دراسة مقارنة تجمع مواقف الفرق الكلاميّة الكبرى كالمعتزلة، والأشاعرة، والماتريديّة، وأهل الحديث، للكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف في تأسيس المنظومة الأخلاقيّة.
- تقويم إسهام علم الكلام في بناء الفكر الأخلاقي الإسلامي، وبيان أثره في إثراء التّنوّع القيمي داخل الحضارة الإسلاميّة.
- تأصيل العلاقة بين علم الكلام والمنظومة الأخلاقيّة، وبيان أنّ الخلافات الكلاميّة أسهمت في بناء تصوّرات أخلاقيّة متعدّدة شكّلت أحد المرتكزات الأساسيّة للفكر الأخلاقي الإسلامي.

الدّراسات السّابقة:

تناولت بعض الدّراسات العلاقة بين الفكر الكلامي والأخلاق الإسلاميّة، ومن أبرزها دراسة **ماجد فخري** في" النّظريّات الأخلاقيّة في الإسلام"، التي بحثت التّصوّرات الأخلاقيّة في الإسلام، التي بحثت التّصوّرات الأخلاقيّة لدى المدارس الكلاميّة، ولا سيما المعتزلة والأشاعرة، مع التّركيز على قضايا الحسن، والقبح، والعدل، والمسؤوليّة.

كما اهتمّ جورج ف. حوراني بدراسة الأساس العقلي للأخلاق عند المعتزلة وعلاقته بمفهوم المسؤوليّة الإنسانيّة.

وعلى الرّغم من أهمّيّة هذه الدّراسات، فإنّها لم تجمع بصورة مركّزة بين مختلف الاتجاهات الكلاميّة للكشف عن أثر اختلافها في تشكيل المنظومة الأخلاقيّة الإسلاميّة، وهو ما تسعى هذه الدّراسة إلى معالجته من خلال مقاربة مقارنة تشمل المعتزلة والأشاعرة والماتريديّة وأهل الحديث.

المنهج المعتمد في الدّراسة:

اعتمدت هذه الدّراسة على المنهج التّحليلي المقارن، إذ استخدم المنهج التّحليلي في دراسة المرتكزات العقديّة والأخلاقيّة للفرق الكلاميّة، وتحليل مواقفها من قضايا الحسن والقبح والعدل والحرّيّة، والمسؤوليّة.

كما اعتمد المنهج المقارن لإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بين الفرق الكلاميّة، وبيان أثر ذلك في تشكيل المنظومة الأخلاقيّة في الإسلام، مع الاستئناس بالمنهج التّاريخي كلما اقتضت الضرورة ذلك لتوضيح السّياق الفكري لنشأة بعض القضايا الكلاميّة.

الإشكاليّة:

تنطلق هذه الدّراسة من الإشكاليّة الرّئيسة التّالية:

إلى أيّ مدى أسهمت الاختلافات بين الفرق الكلاميّة في تشكيل المنظومة الأخلاقيّة في الإسلام، وما أثر تباين مرجعيّتها العقديّة والمعرفيّة في بناء مفاهيم الحرّيّة، والعدل والمسؤوليّة، والخير، والشّر، والحسن، والتّقبيح؟

وتتفرّع الإشكاليّة المركزية إلى تساؤلات أخرى وهي:

ما العلاقة بين الأصول العقديّة للفرق الكلاميّة وتصوّراتها للمنظومة الأخلاقيّة؟

كيف أسهم الاختلاف بين العقل والنّقل في بناء معايير الخير والشّر؟

ما أثر التّباين في فهم الحرّيّة والعدل الإلهي في تحديد المسؤوليّة الأخلاقيّة؟

إلى أيّ مدى أسهم التّعدّد الكلامي في إثراء المنظومة الأخلاقيّة في الفكر الإسلامي؟

عناصر البحث

انطلاقا من الإشكاليّة المطروحة وزّعت عناصر البحث على الشكل التّالي إلى ثلاثة مباحث رئيسة:

خصّص **المبحث الأوّل:** للتّأصيل النّظري من خلال بيان نشأة علم الكلام وتطوّره وعلاقته بالعلوم الإسلاميّة. أمّا **المبحث الثّاني:** فقد تناول أثر أبرز المدارس الكلاميّة في تشكيل المنظومة الأخلاقيّة وذلك من خلال دراسة التّصوّر الأخلاقي عند المعتزلة، والأشاعرة والماتريديّة، وأهل الحديث، مع الوقوف على الأسس العقديّة التي أسّست عليها تصوّراتها الأخلاقيّة. في حين خصّص **المبحث الثالث:** لتحليل أثر الاختلافات الكلاميّة في بناء المفاهيم الأخلاقيّة الكبرى ولاسيما الحرّيّة والمسؤوليّة، والعدل والقيمة الأخلاقيّة، ثمّ بيان أثر التّعدّد الكلامي في اثراء المنظومة الأخلاقيّة الإسلاميّة وإبراز امتداداته الفكريّة.

الخاتمة

التوصيات

المصادر والمراجع

المبحث الأوّل: الإطار المفاهيمي والنّظري للعلاقة بين علم الكلام والمنظومة الأخلاقيّة في الإسلام

1- علم الكلام: بحث في المفهوم

يجد الباحث تعاريف عديدة لعلم الكلام تذهب في معظمها إلى أنّه العلم الباحث في الأحكام الاعتقادية كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشرّه تمييزا له عن العلم المتضمّن للأحكام الشّرعيّة العمليّة (فقه، عبادات، معاملات...) تلك الأحكام المتعلّقة بالصّلاة والصّوم والزّكاة والحجّ والبيوع، وتكوّن تلك الأحكام الاعتقادية والعمليّة جملة من الأحكام الشّرعيّة التي جاء بها الإسلام وتسمّى الاعتقادية منها أصولا والعمليّة منها فروعا. ومن بين تلك التعريفات الكثيرة نذكر:

تعريف **ابن خلدون**(-808هـ) في المقدّمة بأنّه "علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانيّة بالأدلّة العقليّة والرّد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السّلف وأهل السّنّة، وسرّ هذه العقائد الإيمانية هو التّوحيد."[1]

وهذا الرّأي هو نفسه الذي ذهب إليه **الإيجي** في المواقف لمّا قال:" والكلام علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدّينيّة بإيراد الحجج ودفع الشّبه."[2] وهو أيضا كما يقول **الغزالي** في المنقذ من الضّلال:" إنّما المقصود منه (علم الكلام) حفظ عقيدة أهل السّنّة وحراستها من تشويش أهل البدعة."[3]

وعرّفه التّهانوي في كشّاف اصطلاحات الفنون فقال:" علم الكلام ويسمّى بأصول الدّين أيضا وسمّاه أبو حنيفة الفقه الأكبر ويسمّى بعلم النّظر والاستدلال أيضا ويسمّى أيضا بعلم التّوحيد والصّفات، وهو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدّينيّة على الغير بإيراد الحجج ودفع الشّبه."[4]

---

[1] - ابن خلدون (عبد الرّحمان)، المقدّمة، ط1، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتوزيع بيروت لبنان2007م، ص467.

[2] - الإيجي (عبد الرّحمان بن أحمد)، المواقف في علم الكلام، د.ط، عالم الكتب بيروت، د.ت، ص7.

[3] - الغزالي، (أبي حامد)، المنقذ من الضّلال والموصل إلى ذي العزّة والجلال، د.ط، دار الأندلس للطّباعة والنّشر والتّوزيع بيروت لبنان، دت، ص91.

[4] - التّهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون، ط1، مكتبة لبنان ناشرون 1996، 29/1.

والملاحظ ممّا تقدّم بيانه أنّ جملة هذه التّعريفات اتّفقت على الغاية من علم الكلام إذ تلتقي جميعها في إفادة أنّ هذا العلم الذي يتضمّن الحجج العقليّة والمنطقيّة التي يتوصّل بها إلى إثبات أسس العقيدة وتفنيد افتراءات المخالفين ومن هنا تتجلّى حقيقة غايته الشّريفة في الدّفاع عن الدين ضد الأطروحات المناوئة.

وقد سمّي هذا العلم بتسميات مختلفة منها:

- **علم أصول الدّين:** لأنّه أصل العلوم الدّينيّة والباقي فروع وقد ذهب إلى هذه التّسمية الكثير من العلماء ونذكر من بينهم البيهقي في "شعب الإيمان"، وتاج الدّين السّبكي في "جمع الجوامع في الأصول القواطع"، والتّهانوي في "كشاف اصطلاحات الفنون"، والبغدادي في "أصول الدّين"، والشّهرستاني في "الملل والنّحل". وغيرهم كثير.
- **علم التّوحيد والصّفات:** سمّي كذلك لغلبة مبحث التّوحيد عليه أي توحيد الله ذاتا وصفاتا وأفعالا وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في تعريفه لعلم الكلام سابق الذّكر.
- **الفقه الأكبر:** وذلك لاتصاله بالمعرفة والنّظر دون العمل.
- **علم العقائد:** لاشتماله على عقائد الدّين الإسلامي ومباحثها.
- **علم الكلام:** سمّي بذلك لكثرة الكلام فيه حول صفة الكلام الإلهي يقول عضد الدّين الإيجي في المواقف:" إنّما سمّي كلاما إمّا لأنّه بإزاء المنطق للفلاسفة، أو لأنّ أبوابه عنونت أوّلا بالكلام في كذا، أو لأنّ مسألة الكلام أشهر أجزائه حتى كثر فيه التّناحر والسّفك فغلب عليه، أو لأنّه يورث قدرة على الكلام في الشّرعيّات ومع الخصم."[5]

أمّا من حيث الموضوع فمن البديهي أنّ لكلّ علم موضوعا يختصّ ببحثه وبالتّالي لابدّ له من منهج يتّبعه ونتائج يصل إليها وكذلك الشّأن بالنّسبة لعلم الكلام، فإنّه كما سبق لنا من خلال تعريفاته وتسمياته يقوم على اثبات العقائد الدّينيّة وتأييدها بالأدلّة العقليّة، وأنّ موضوعه يتناول كما تبيّن العقائد الإيمانيّة الواردة في الإسلام والتي كلّفنا الشّارع بتصديقها بقلوبنا واعتقادها في أنفسنا مع الإقرار بألسنتنا والعمل بجوارحنا، وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الأمور الاعتقادية في الفصل المخصّص لعلم الكلام في مقدّمته فقال:" واعلم أنّ الشّارع عيّن أمورا مخصوصة كلّفنا التّصديق بها، واعتقادها في أنفسنا على الإقرار بألسنتنا وهي العقائد التي تقرّرت في الدّين قال صلّى الله عليه وسلّم حين سئل عن الإيمان: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه."[6]

إذا فموضوع علم الكلام كما يراه ابن خلدون العقائد الإيمانيّة التي تضمّنها حديث جبريل عليه السلام والمتعلّقة بأركان الإيمان السّتّة. وقد نحى أغلب المهتمّين بالعلم نفس المنحى تقريبا في تحديد موضوعات علم الكلام نفسها التي أشار إليها ابن خلدون وإن تباينت الآراء في المسألة. فالإيجي في مواقفه[7] مثلا ذهب إلى أنّ علم الكلام يتناول أصول الدّين بمباحثها الأساسيّة المتمثّلة في الإلهيّات والنّبوّات والسّمعيّات وهي مقاصد أصيلة للعلم، وموضوع علم الكلام هو كذلك عند علماء آخرين البحث في العلم، الوجود، الكون من حيث دلالته على الله تعالى.

بعد النّظر في تعريف علم الكلام وما تسمّى به من تسميات مختلفة، فهو علم أصول الدّين وهو علم التوحيد، وهو علم العقائد، وهو علم الكلام، وموضوعاته التي اشتغل فيها والتي تباينت الآراء فيها بين قائل بأنّها تشمل العقائد الإيمانيّة الواردة في حديث جبريل عليه السّلام وبين قائل بأنّها تشمل مباحث أساسيّة والمتمثّلة في الإلهيّات، والنّبوّات والسّمعيّات، وقائل بأنّها تشمل العلم والوجود والكون من حيث دلالته على الله تعالى سنتطرّق إلى تطوّر علم الكلام فكيف تطوّر هذا العلم اليوم وهل احتفظ بنفس القضايا العقديّة التي كان يدافع عنها قديما؟.

تطوّر علم الكلام وصلته بالمنظومة الأخلاقيّة: لابدّ من الإشارة أنّ البحث في علم الكلام أمر مهمّ وأهمّيته تكمن في ارتباطه بالبحث في أمور العقيدة، وهو ممثل لتراث فكري أصيل يدلّل على ما بذله الأجداد في سبيل توضيح العقيدة الإسلاميّة والدّفاع عنها في وجه الخصوم، ثمّ تطوّر تدريجيّا من مجرّد مجادلة الخصوم وإثبات العقائد إلى بناء مناهج عقليّة في النّظر والاستدلال، تناولت جملة من القضايا التي تجاوزت المجال العقدي المباشر إلى قضايا الإنسان والفعل والقيمة، وقد برزت ضمن هذا التّطوّر مسائل العدل الإلهي، وأفعال العباد، والحرّيّة والمسؤوليّة، والحسن والقبح، وهي قضايا تقف عند نقطة التماس بين البحث العقدي والتّفكير الأخلاقي.

ومع ظهور المدارس الكلاميّة الكبرى، لاسيما المعتزلة والأشاعرة والماتريديّة، ثم في مقابلها الاتجاه النّصّي الذي مثّله أهل الحديث، تباينت طرائق معالجة هذه القضايا تبعا لاختلاف الموقف من العقل والوحي وحدود كل منهما في مجال

---

[5] - الإيجي، المصدر السّابق ص9.

[6] - ابن خلدون، المقدّمة، المرجع السّابق ص467.

[7] - الإيجي، المواقف في علم الكلام، المرجع السّابق ص 9.

المعرفة والحكم. ولم يكن هذا التباين محصورا في القضايا النّظريّة، بل امتدّ إلى تحديد الأساس الذي تقوم عليه القيمة الأخلاقيّة، ومصدر الإلزام، وحدود الحرّيّة الإنسانيّة، وطبيعة المسؤوليّة المترتّبة على الفعل.
ومن هذا المنطلق، فإنّ تطوّر علم الكلام أفضى إلى فتح مجال واسع للتّفكير في الأسس النّظريّة للأخلاق داخل الفكر الإسلامي، إذ أفضى البحث في قضايا العدل والحرّيّة والحسن والقبح إلى بلورة تصوّرات أخلاقيّة متباينة، مع اشتراكها في إطار المرجعيّة الإسلاميّة العامّة. وعلى هذا الأساس، فإنّ دراسة أثر الفرق الكلاميّة في تشكيل المنظومة الأخلاقيّة لا تمثّل خروجا عن موضوع علم الكلام، وإنّما تكشف أحد امتداداته الفكريّة المهمّة، وتوضّح كيف انتقلت الأسئلة الكلاميّة في مجال النّظر في العقيدة إلى مجال بناء التّصوّرات المتعلّقة بالإنسان والقيمة والسّلوك.

2- علم الكلام بوصفه إطارا مؤسّسا للمنظومة الأخلاقيّة في الإسلام

ارتبط علم الكلام في بداياته، وفي الوعي العلمي الإسلامي، وكما بيّنت المفاهيم التي أوردناها، بوظيفته الدّفاعيّة، فهو العلم الذي يتولّى الدّفاع عن العقيدة ضدّ الأطروحات المناوئة لها، غير أنّ هذا التّصوّر على أهمّيّته، لا يستوعب جميع الأبعاد التي اضطلع بها في تاريخ الفكر الإسلامي في كلّيّته، فعلم الكلام ومنذ مراحل مبكّرة من تطوّره تجاوز حدود الجدل العقدي إلى بناء رؤية معرفيّة متكاملة للكون والإنسان والإله، وقد ساهم في إنتاج منظومة من المفاهيم كان لها أثر مباشر في صياغة التّصوّر الإسلامي للقيم والأخلاق، ومن هذا المنطلق فإنّ دراسة علم الكلام لا ينبغي أن تقتصر على بعده العقدي، بل يجب أن تمتدّ إلى الكشف عن دوره الفعّال في تأسيس البنية النّظريّة للمنظومة الأخلاقيّة في الإسلام.
فالمصادر التّراثيّة تؤكّد أنّ المسائل الكلاميّة الكبرى لم تكن معزولة عن الأسئلة الأخلاقيّة، فالتّكلّم في العدل الإلهي، والقدرة، وحرّيّة الإنسان، والتّكليف، والحسن والقبح، لم يكن مجرّد تكلّم ومحاولة لتقرير أصول الاعتقاد، وإنّما كان أيضا بحثا في الأساس الذي تقوم عليه المسؤوليّة الأخلاقيّة، وفي مصدر الإلزام ومعيار الحكم على الأفعال. ولذلك نجد القاضي عبد الجبّار المعتزلي جعل من أصل العدل أحد الأصول الخمسة للمعتزلة، وعدّه أساسا للإثبات مسؤوليّة الإنسان عن أفعاله، لأنّ التّكليف لا يستقيم إلاّ مع إثبات الحريّة وإمكان الاختيار، وفي هذا المقام يمكن إيراد بعض ما قاله القاضي عبد الجبّار في أفعال العباد وأنّها غير مخلوقة، يقول القاضي في كتابه "شرح الأصول الخمسة " وتحديدا في فصل العدل ما يلي:" وإذ قد فرغنا من بيان أقسام الفعل وما يتّصل به، نعود إلى الدّلالة على أنّ أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنّهم هم المحدثون لها. والذي يدلّ على ذلك، أن نفصل بين المحسن والمسيء، وبين حسن الوجه وقبيحه، فنحمد المحسن على احسانه ونذم المسيء على إساءته، ولا تجوز هذه الطريقة في حسن الوجه وقبيحه، ولا في طول القامة وقصرها، حتى لا يحسن منا أن نقول للطّويل لم طالت قامتك، ولا للقصير لم قصرت؟ كما يحسن أن نقول للظّالم لم ظلمت؟ وللكاذب لم كذبت؟ فلولا أنّ أحدهما متعلّق بنا وموجود من جهتنا بخلاف الآخر، وإلاّ لما وجب هذا الفصل، ولكان الحال في طول القامة وقصرها كالحال في الظّلم والكذب، وقد عرف فساده."[8]
أمّا أبو الحسن الأشعري فقد بيّن أنّ وظيفة علم الكلام لا تقتصر على تقرير العقائد فحسب، بل تشمل إقامة البرهان عليها ودفع الشّبهات عنها، وهذا الأمر أتاح للمتكلّمين توظيف العقل في تحليل القضايا المرتبطة بالإنسان وأفعاله وقد بيّن الأشعري ذلك في كتابه " مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين" فقال في مستهلّ كتابه:" اختلف المسلمون عشرة أصناف: الشيع، والخوارج، والمعتزلة، والجهميّة، والضّراريّة، والحسينيّة والبكريّة، والعامّة، وأصحاب الحديث، والكلاّبيّة أصحاب عبد الله بن كلاب القطّان."[9] ولابدّ من الإشارة أنّ مع تطوّر هذا الحقل المعرفي، أصبح علم الكلام فضاء للنّقاش حول طبيعة الإنسان، وعلاقة أفعاله بالإرادة الإلهيّة وهي قضايا تتقاطع مباشرة مع فلسفة الأخلاق.
وهذا البعد الأخلاقي لم يخف عن عدد من الباحثين المعاصرين الذين أكّدوا أنّ علم الكلام الإسلامي لم يكن مجرد دفاع عن مقرّرات عقديّة بقدر ما كان يدافع ويؤسّس لأبعاد فلسفية أخلاقيّة أيضا من بينهم هؤلاء " جورج فاضلو حوراني في كتابه" Reason and Tradition in Islamic Ethics"، الذي يرى أنّ الجدل الكلامي حول العقل والوحي، والحسن والقبح، لم يكن إلا منطلقا لتطوّر النّظريّة الأخلاقيّة.[10] وفي هذا السّياق أيضا تبرز دراسة جوزيف فان إس في كتابه Theology and Society in the Second and Third Centuries of the Hijra, Brill بوصفها من الدّراسات التي تكشف عن الصّلة الوثيقة بين تشكّل علم الكلام والتّحولات الفكريّة والاجتماعية في المجتمع

---

[8] - القاضي عبد الجبّار، شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، ط3، مكتبة وهبة،1416هـ/1996م ص 351 وما بعدها.
[9] - الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين، تح: أحمد جاد، دط، دار الحديث، 1430هـ/2008م ص12.
[10] -George F Hourani, Rrason and Tradition in Islamic Ethics, Cambridge University Press, 1985

الإسلامي المبكّر بما يجعل قضاياه متجاوزة حدود الجدل اللاهوتي المجرّد إلى أسئلة تتصل بالإنسان والمجتمع ومفاهيم العدل والمسؤوليّة والحرّيّة.[11]

ومن خلال ما تم بيانه نفهم أنّ العلاقة بين علم الكلام والمنظومة الأخلاقيّة ليست علاقة عرضيّة، بل هي علاقة تأسيسيّة، لأنّ الموقف من العقل، والعدل الإلهي، والحرّيّة، والحسن والقبح، يحدّد بالضّرورة طبيعة الفعل الأخلاقي، ومصدر الإلزام، وحدود المسؤوليّة الإنسانيّة. ومن هذا المنطلق يمكن النّظر إلى علم الكلام بوصفه أحد أهمّ الحقول المؤسّسة للفكر الأخلاقي الإسلامي، إذ أسهمت اختلافات مدارسه في انتاج رؤى متعدّدة للقيم، مع احتفاظها جميعا بالإطار المرجعي العام الذي يستمدّ أصوله من الوحي.

3- مفهوم المنظومة الأخلاقيّة في الفكر الإسلامي

تعدّ المنظومة الأخلاقيّة من المفاهيم الأساسيّة في الدّراسات الفلسفيّة والإسلاميّة المعاصرة، لما تشتمل عليه من دلالات تتجاوز السّلوك الفردي إلى الإطار المرجعي الذي يحكم علاقة الإنسان بذاته وبالآخرين وبالمجتمع. والمجموعة الأخلاقية التي نعنيها ليست مجرّد مجموعة من الفضائل أو القيم المبثوثة هنا وهناك بل هي بناء متكامل من المبادئ والمعايير التي تضبط الأحكام على الأفعال، وتحدّد معايير الخير والشّر والواجب والممنوع في ضوء مرجعيّة فكريّة أو دينيّة وهذا ما عبّر عنه طه عبد الرّحمان في كتابه " سؤال الأخلاق مساهمة في النّقد الأخلاقي للحداثة الغربية"" بقوله:" يكون أبلغ أنواع التّخلق في استجماع أقصى الكمالات الإنسانية لذلك تجد المتخلّق في هذه الرّتبة يطمع دائما في وصل الإنسان بآفاق فوق أفق الإنسان العادي كأفق الأنبياء المطهّرين وأفق الملائكة المقرّبين، إن لم يكن أفق الحضرة الإلهية نفسها..."[12]

وفي التّصوّر الإسلامي، تستند المنظومة الأخلاقيّة إلى مرجعيّة الوحي، مع إقرار دور العقل في فهم مقاصد الشّريعة وإدراك جانب من القيم الأخلاقيّة. والقرآن الكريم أكّد على أنّ الغاية من الرّسالات السّماويّة ليست ترسيخ العقيدة فحسب، إنما هناك غاية أخرى لا تقلّ أهمّيّة وهي بناء الإنسان أخلاقيّا وهذا ما أشار إليه الله تعالى في أكثر من مناسبة كقوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ"[13] وقوله أيضا في سورة البقرة:" وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا "[14]، وقد أكّدت السّنة النّبويّة على هذا البعد الأخلاقي بل أنّ هذا البعد كان من أسمى غايات بعثة الرّسول الكريم محمّد صلّى الله عليه وسلّم هيّ الدّعوة للأخلاق قال عليه الصّلاة والسّلام:" إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق" وقد أمر الله سبحانه وتعالى عبادة بالتّأسّي بنبيّه في حسن الخلق والأدب واتّباع سنّته والاقتداء به حيث قال جلّ وعلا:" لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا"[15]

وقد تناول علماء الإسلام مفهوم الأخلاق من زوايا متعدّدة فقد عرّف الإمام الغزالي الخلق بأنّه" هيئة في النّفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، ومن غير حاجة إلى فكر ورويّة. فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة، المحمودة عقلا وشرعا، سمّيت تلك الهيئة خلقا حسنا."[16]

وعندما نعود لابن مسكويه نجده يعرف الأخلاق بأنّها "حال للنّفس داعية لها إلى أفعاله من غير فكر ولا رويّة، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحرّكه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقلّ سبب، وكالإنسان الذي يجنّ من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من أيّ شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتّدريب، وربّما كان مبدؤه الفكر، ثمّ يستمرّ عليه أوّلا فأوّلا حتى يصير ملكة وخلقا."[17] ونفهم من هذا أنّ ابن مسكويه نظر إلى الأخلاق بوصفها ملكة نفسيّة تدفع الإنسان إلى الأفعال الحسنة بإرادة واختيار.

والذي نخلص إليه من هذين التّعريفين أنّ الأخلاق في الفكر الإسلامي ليست مجرّد سلوك خارجي، بل هي بناء نفسي ومعرفي يتأسّس على منظومة من القيم والمبادئ.

---

[11] - Josef, van Ess, Theology and Society in the Second and Third Centuries of the Hijra : A History of Religious Thought in Early Islam. Vol 1, translate by John O'Kane, Brill,2017.

[12]- عبد الرّحمان (طه)، سؤال الأخلاق مساهمة في النّقد الأخلاقي للحداثة الغربيّة، ط1، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء المغرب 2000م صص87-88.

[13] - سورة النّحل الآية 90.

[14] - سورة البقرة الآية 83.

[15] - سورة الأحزاب الآية 21.

[16] - الغزالي (أبو حامد محمّد)، إحياء علم الدّين، دط، دار صادر بيروت لبنان، دت، 66/3.

[17]- ابن مسكويه (أبو على أحمد بن محمّد)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق تح: ابن الخطيب، ط1، مكتبة الثقافة الدّينيّة، القاهرة ص51.

وممّا تقدّم بيانه، ندرك أنّ المنظومة الأخلاقيّة لا تنفصل عن التّصوّرات العقديّة، إذ إنّ تحديد مصدر القيمة ومعيار الإلزام يرتبط ارتباطا وثيقا بالموقف من العقل والوحي، ومن حرّيّة الإنسان وعدل الله تعالى. ولهذا لم يكن اختلاف المتكلّمين في مسائل الحسن والقبح، أو في طبيعة أفعال العباد، خلافا نظريّا مجرّدا، بل كان اختلافا في الأسس التي تقوم عليها المنظومة الأخلاقيّة. فالمعتزلة بإقرارهم استقلال العقل في إدراك الحسن والقبح أسّسوا تصوّرا يجعل العقل شريكا في تأسيس القيمة، بينما رأى الأشاعرة أنّ القيمة تستمدّ مشروعيّتها من الأمر الإلهي، في حين سعت الماتريديّة إلى التّوفيق بين دلالة العقل وهداية الوحي.

وبناء على ذلك فإنّ المنظومة الأخلاقيّة في الإسلام لا يمكن فهمها بمعزل عن البناء الكلامي الذي أسهم في صياغة كثير من مفاهيمه الأساسيّة. فالقيم الأخلاقيّة ليست مجرّد أحكام عمليّة، بل هي ثمرة تصوّرات عقديّة ومعرفيّة تحدّد طبيعة الإنسان وحدود مسؤوليّته، ومصدر الإلزام الأخلاقي، وهو ما يفسّر التّباين الذي عرفته المدارس الكلاميّة في بناء رؤيتها للأخلاق مع اتفاقها على المرجعيّة الإسلاميّة الجامعة.

4- العلاقة بين العقيدة والأخلاق في الفكر الإسلامي

إنّ العلاقة بين العقيدة والأخلاق من القضايا المحوريّة التي شغلت الفكر الإسلامي منذ مراحله الأولى، إذ لم تنظر إلى العقيدة باعتبارها منظومة من المعتقدات النّظريّة المجرّدة وإنّما بوصفها الأساس الذي تنبثق عنه القيم التي تنظم سلوك الإنسان في علاقته بنفسه وبربّه وبالآخرين، ومن هذا المنطلق يمكن القول أنّ البناء العقدي في الإسلام لا ينفصل عن البناء الأخلاقي لأنّ التّصوّرات المتعلّقة بالله جلّ وعلا، وبالإنسان والكون، والوجود تمثّل المرجعيّة التي تستند إليها الأحكام الأخلاقيّة ومعايير التقويم، " فالقيم تنبع من عقيدة الإسلام، والوحي هو الذي وضع أصولها، ورسم حدودها لبناء شخصيّة المسلم، وعلى هذا الأساس الاعتقادي ترتكز جميع الأسس الأخلاقيّة الأخرى، وكما أنّ الأخلاق لا تقوم في مجتمع بصورة تطبيقيّة إلا في وجود عقيدة آمرة بها كذلك تستند العقيدة في قيامها على الأخلاق."[18]

وقد أكّد القرآن الكريم هذا الارتباط في مواضع كثيرة فجعل الإيمان والعمل الصالح متلازمين، ويتجلّى ذلك في اقتران الإيمان بالعمل الصّالح في مواضع كثيرة من القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى:" مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً"[19] وقوله جلّ وعلا:" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ"[20] كما ربطت السّنّة النّبويّة أيضا بين كمال الإيمان وكمال الخُلق فقال صلى الله عليه وسلّم:" لا يؤمن أحدكم، حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه"[21]

ومن هذا المنطلق لم يكن اهتمام المتكلّمين بالقضايا العقديّة منفصلا عن القضايا الأخلاقيّة، فهناك الكثير من المسائل الكلاميّة ذات امتداد أخلاقي مباشر، فالبحث في مسألة العدل الإلهي مثلا لم يكن مقصورا على بيان صفات الله تعالى، بل امتدّ إلى بيان مسؤوليّة الإنسان عن أفعاله واستحقاقه للثّواب والعقاب. وكذلك مسألة الحسن والقبح لم يكن خلافا لغويّا أو منطقيّا، بقدر ما كان بحثا في مصدر القيمة الأخلاقيّة هل يدركها العقل استقلالا أم تتوقّف على خطاب الشّرع. ومن هنا أصبحت قضايا الحرّيّة، والاختيار، والتّكليف، والجزاء تمثّل حلقة الوصل بين العقيدة والأخلاق.

ويؤكّد هذا التّرابط بين العقيدة والأخلاق ما قدّمته المصادر التراثيّة في علم الكلام من معالجة متباينة لهذه القضيّة، وإن اختلفت المناهج في تناولها. فالقاضي عبد الجبّار المعتزلي في "شرح الأصول الخمسة" أبرز الأسس العقليّة التي يقوم عليها العدل الإلهي والتّكليف، أمّا الإمام الأشعري في "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين" عرض الأصول العقديّة للمدارس الكلاميّة واختلاف منطلقاتها الفكريّة. ونجد الغزالي في " الاقتصاد في الاعتقاد" قد عالج القضايا الكلاميّة المؤسّسة لمفهوم المسؤوليّة الإنسانيّة ثم واصل في كتابه إحياء علوم الدّين بيان البعد التربوي والأخلاقي في ميزان العمل، حيث ربط بين صحّة الاعتقاد واستقامة السّلوك وتهذيب النّفس. أمّا إذا عدنا إلى أبو منصور الماتريدي في كتابه " التّوحيد" فقد قرّر مكانة العقل في إدراك جملة من القيم مع إبقاء الوحي مرجعا في استكمال الهداية والتّوجيه. ويعدّ كتاب التّمهيد للباقلاّني من أهمّ المؤلّفات التي أرست أصول المدرسة الكلاميّة الأشعريّة، أمّا الشّهرستاني فقد قدّم عرضا تحليليّا لمذاهب الفرق الكلاميّة.

والجدير بالملاحظة أنّ الدّراسات المعاصرة أعادت قراءة هذا التّراث الكلامي وفي مقدّمتها دراسة جورج فاضلو حوراني (Reason and Tradition in Islamic Ethics) التي بيّنت أثر الجدل الكلامي في تأسيس النّظريّة

---

[18] - بحاري (عبد المجيد حسن)، عبدة (إبراهيم يوسف)، الأخلاق والقيم الإسلاميّة، ط1، الجامعة الإسلامية المدينة المنوّرة1444هـ ص29.

[19]- سورة النحل الآية 97.

[20] - سورة الكهف الآية 107.

[21] - أخرجه البخاري، باب من الإيمان أن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، حديث رقم (13)،12/1.

الأخلاقيّة الإسلاميّة، وكذلك دراسة جوزيف فان إس (Theology and Society in the Second and Third Centuries of the Hijra, Brill) التي كشفت عن الامتداد الحضاري والمعرفي لعلم الكلام، متجاوزا وظيفته الدّفاعيّة إلى الإسهام في بناء التّصوّرات الفكريّة والأخلاقيّة.
وممّا تقدّم بيانه، يتبين أنّ العلاقة بين العقيدة والأخلاق في الفكر الكلامي ليست علاقة تبعيّة، وإنّما علاقة تأسيس، إذ أنّ التّصوّرات العقديّة تمثّل الإطار المرجعي الذي تتحدّد في ضوئه مفاهيم الخير والشّر، العدل، الحرّيّة والمسؤوليّة والإلزام الأخلاقي، لذا فإنّ فهم المنظومة الأخلاقيّة في الإسلام يقتضي دراسة الأسس الكلاميّة التي قامت عليها لأنّ الاختلاف في العقيدة لم يكن بمعزل عن الاختلاف في بناء النّظريّة الأخلاقيّة،

المبحث الثّاني: أثر الفرق الكلاميّة في تشكيل المنظومة الأخلاقيّة في الإسلام

1- المنظومة الأخلاقيّة عند المعتزلة

تعدّ المدرسة الكلاميّة الاعتزاليّة أوّل اتجاه كلامي صاغ نظريّة أخلاقيّة متكاملة داخل الفكر الإسلامي، أقامت المعتزلة تصوّرها على مركزيّة العقل وعدّته أداة قادرة على إدراك القيم الأخلاقيّة والتّمييز بين القبح والحسن دون اللّجوء إلى نص شرعي، ولم يكن هذا التّصوّر مجرّد موقف معرفي إنّما كان الأساس الذي بنيت عليه رؤيتها للإنسان، والعدل، والحرّيّة والمسؤوليّة ممّا جعل الأخلاق جزءا لا ينفصل عن بنائها العقدي.
ومن أهم أصول المعتزلة أصل العدل، فقد انطلقوا من تنزيه الله تعالى عن الظّلم، ورأوا أنّ عدله يقتضي ألاّ يُكلّف الإنسان إلا ما هو قادر عليه، وألاّ يحاسبه إلاّ على فعل صادر عنه باختياره وبإرادته. ومن هذا المنطلق قرّرت المعتزلة أنّ الإنسان خلق لأفعاله على جهة الكسب والاختيار، وأنّه يتحمّل المسؤوليّة الكاملة عنها لأنّ التّكليف والثّواب والعقاب لا يستقيم معناهما إلاّ مع ثبوت الحرّيّة الإنسانيّة
فالمعتزلة بهذا المعنى أرادو إنقاذ العدل الإلهي من الظلم ففي شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبّار المعتزلي ذكر صريح لموقفهم من أصل العدل ومعناه ورد في شرح الأصول الخمسة ما يلي: «وأمّا في الاصطلاح، فإذا قيل إنّه تعالى عدل، فالمراد به أنّ أفعاله كلّها حسنة، وأنّه لا يفعل القبيح ولا يخلّ بما هو واجب عليه. فإن قيل: كيف يصحّ قولكم أنّ أفعاله كلّها حسنة مع أنّه هو الفاعل لهذه الصّور القبيحة المنكرة؟ والأصل في الجواب عنه أنّا لا نعني أنّه يحسن من جهة المرأى والمنظر حتى يستحيله كلّ واحد، وإنّما نريد أنّه يحسن من جهة الحكمة، وهذه الصّور كلّها حسنة من جهة الحكمة، ولا يمتنع أن يكون الفعل حسنا من جهة المرأى والمنظر، قبيحا من جهة الحكمة. كما أنّه يكون حسنا من جهة الحكمة، قبيحا من جهة المرأى والمنظر. ألا ترى أنّ أحدنا لو مشى مشية عرجاء في إنقاذ محبوس فإنّ تلك المشية حسنة من جهة الجملة، قبيحة من جهة الصّورة. وبالعكس من هذا لو مشى مشية حسنة في سعاية بمسلم إلى السّلطان الجائره، فإنّها قبيحة من جهة الحكمة، حسنة من جهة المرأى والمنظر."[22] وهذا هوّ الكلام في العدل.
وانطلاقا من أصل العدل، تبني المعتزلة نظريّة التّحسين والتّقبيح العقليين، مؤكّدة على أنّ العقل قادر على إدراك عدل العدل وقبح الظّلم، وحسن الصّدق، وقبح الكذب، حتى قبل ورود النّص الشرعي(الوحي). والوحي لم يكن - في نظرهم – إنشاء للقيم من العدم، وإنّما هوّ تأكيد ما يهدي إليه العقل، وبيان تفاصيل الأحكام التي قد يعجز عن إدراكها استقلالا. لذلك أصبحت القيم الأخلاقيّة عند المعتزلة ذات أساس عقلي مع انسجامه مع مقاصد الشّرع.
ويرى الباحث "ماجد فخري" في كتابه " النّظريّات الأخلاقيّة في الإسلام" (والكتاب مكتوب باللّغة بالإنجليزيّة) أنّ المعتزلة قدّموا أوّل نظريّة أخلاقيّة عقلانيةّ متماسكة في الفكر الإسلامي، إذ جعلوا العقل قادرا على إدراك الحسن والقبح استقلالا، وربطوا المسؤوليّة الأخلاقيّة بحرّيّة الإنسان وعدل الله تعالى. ويؤكّد ماجد فخري أنّ هذا التّصوّر لم يكن مجرّد اجتهاد كلامي، بل أكثر من ذلك فقد أسّس لنظريّة أخلاقيّة متكاملة، تقوم على موضوعيّة القيم وإمكان إدراكها بالعقل، مع بقاء الوحي مرشدا ومكمّلا لما يهدي إليه العقل.[23]
والملاحظ ممّا تقدّم بيانه أنّ المعتزلة لم ينظروا إلى الأخلاق باعتبارها فرعا تابعا للعقيدة، بل جعلوها امتدادا مباشرا لها. وهكذا يكون أصل العدل، ونظريّة الحسن والقبح، والقول بحرّيّة الإنسان، مرتكزات أساسيّة في بناء منظومتهم

---

[22] - القاضي عبد الجبّار، شرح الأصول الخمسة، مرجع سابق صص132-133.
[23] - فخري، (ماجد)، Ethical Theories in Islam، ط2، بريل ليدن 1994، صص31-45.

الأخلاقيّة. ومن ثمّ فإنّ إسهامهم لم يقتصر على الدّفاع عن مبادئ عقديّة، بل أسهم في تأسيس تصوّر أخلاقي متكامل كان له أثر بالغ في تطوّر الفكر الإسلامي.

2- المنظومة الأخلاقيّة عند الأشاعرة والماتريديّة

مثّل الأشاعرة والماتريديّة الاتجاه الوسطى في الفكر الكلامي سعى هذا الاتجاه إلى التّوفيق بين العقل والنّقل(الوحي)، وإن اختلفت المدرستان في مدى إسهام العقل في إدراك القيم الأخلاقيّة، فقد انطلقتا من التّسليم بأنّ العقيدة تمثّل الأساس الذي تنبني عليه المنظومة الأخلاقيّة، إلاّ أنّ تباينهما في فهم العلاقة بين العقل والنّقل أفرز تصوّرين متقاربين في الغاية، مختلفين في بعض الأسس النّظريّة.

يرى الأشاعرة أنّ العقل له القدرة على إدراك بعض المعارف، إلا أنّ الحكم على الأفعال بالحسن أو بالقبح من حيث استحقاق المدح والذّم والثواب والعقاب لا يمكن إثباته إلا بخطاب الشّرع، ومن هذا المنطلق فإنّ القيم الأخلاقيّة تكتسب إلزامها من الوحي، لأنّ الله جلّ وعلا هو مصدر التّشريع ومعيار التّقويم. وانعكس هذا التّصوّر على فهمهم للتّكليف والمسؤوليّة، في إطار نظريّة الكسب التي تجعل الإنسان مكتسبا لأفعاله، مع بقاء الخلق والإيجاد لله تعالى. ويأتي هنا قول الباقلاّني في كتابه "تّمهيد الأوائل وتلخيص الدّلائل" تأكيدا على ما تمّ ذكره:" فإن قال قائل: فعلى كم وجه ينقسم الاستدلال؟ قيل له: على وجوه يكثر تعدادها، فمنها أن ينقسم الشيء في العقل على أقسام يستحيل أن تجتمع كلّها في الصّحّة والفساد، فيبطل...وقد يستدلّ أيضا على بعض القضايا العقليّة وعلى الأحكام الشّرعيّة بالكتاب والسّنّة وإجماع الأمّة والقياس الشّرعي المنتزع من الأصول المنطوق بها وماجري مجرى القياس على العلّة من ضرب الاجتهاد الذي يسوغ الحكم بمثله من الشّرع على مذهب القايسين."[24]

أمّا الماتريديّة فقد منحوا العقل مجالا أوسع فقالوا أنّه قادر على إدراك حسن بعض الأفعال وقبح بعضها مثل الصدق والكذب والظّلم والعدل، ورغم هذا يبقى النّقل (الوحي) يمثّل المرجع الأعلى في بيان تفاصيل الأحكام وما يترتّب عليها من تكليف وثواب وعقاب. وبهذه الطريقة جمع الماتريديّة بين دلالة العقل وهداية الشّرع، فقدّموا تصوّرا يوازن بين الإدراك العقلي والمرجعيّة الشّرعيّة وهذا ما أكّد عليه الماتريدي بقوله:" يعرف الدّين بالسّمع والعقل، ثمّ أصل ما يعرف به الدّين- إذ لا بدّ أن يكون لهذا الخلق دين يلزمهم الاجتماع عليه وأصل يلزمهم الفزع إليه- وجهان: أحدهما السّمع والآخر العقل. أمّا السّمع فما لا يخلو بشر من انتحاله مذهبا يعتمد عليه ويدعو غيره إليه، حتى شاركهم في ذلك أصحاب الشّكوك والتّجاهل فضلا عن الذي يقرّ بوجود الأشياء وتحقيقها.. أمّا العقل فهو أنّ كون العالم للفناء خاصّة ليس بحكمة، وخروج كلّ ذي عقل -فعله- عن طريق الحكمة قبيح عنه، فلا يحتمل أن يكون العالم - الذي العقل منه جزء – مؤسّسا على غير الحكمة أو مجعولا عبثا. وإذا ثبت ذلك دلّ أنّ إنشاء العالم للبقاء لا للفناء."[25]

والملاحظ أن الاختلاف بين المدارس الكلاميّة الثلاثة المعتزلة والأشاعرة والماتريديّة لم يكن خلافا في أهمّيّة الأخلاق، وإنّما في الأساس الذي تبنى عليه فبينما جعل المعتزلة العقل مصدرا لإدراك القيم، أكّد الأشاعرة على مرجعيّة الوحي في تأسيس الإلزام الأخلاقي، في حين سعت الماتريديّة إلى التّوفيق بين المرجعيّتين، وهذا يعكس تنوع المقاربات الأخلاقيّة داخل الفكر الكلامي الإسلامي.

والأشاعرة والماتريديّة على اختلافهما في حدود دور العقل، قد اشتركا في تأكيد المرجعيّة الدّينيّة للأخلاق، مع اختلافهما أيضا في تحديد مجال العقل ووظيفته.

إنّ هذا التّنوّع يدلّ على ثراء الفكر الكلامي الإسلامي، وهذا الاختلاف والتّنوّع لم يؤدّ إلى تضادّ في القيم، بل إلى تعدّد في مناهج تأسيسها وتبريرها.

3- المنظومة الأخلاقيّة عند أهل الحديث

التّصوّر الأخلاقي عند أهل الحديث يقوم على مبدأ أصيل يتمثّل في جعل الوحي المصدر الأوّل للقيم والأحكام الأخلاقيّة، انطلاقا من القرآن بصفته المصدر الأوّل للتّشريع الإسلامي والسّنّة النّبويّة بصفتها المصدر الثّاني للتّشريع الإسلامي فهما يمثّلان المرجعيّة النّهائيّة في تحديد الخير والشّر، والحسن والقبح، والواجب والممنوع. ومن هذا المنطلق فإنّ البناء الأخلاقي عندهم يرتكز على الامتثال للنّصوص الشّرعيّة، مع الإيمان بما أمر به الله عزّ وجلّ فهو الخير، وما نهى عنه هو الشّر، وأنّ كمال الأخلاق ثمرة لكمال الإيمان وصحّة الاعتقاد.

---

[24] - الباقلاّني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدّلائل، تح: عماد الدّين أحمد حيدر، ط1، مؤسّسة الكتب الثّقافيّة بيروت لبنان 1407هـ/1987م صص 32-33.

[25] - الماتريدي، أبو منصور، كتاب التّوحيد، تح: عاصم إبراهيم الكلياني، ط1، دار الكتب العلميّة بيروت لبنان 2006، صص6-7.

وهذا التّصوّر لا يلغي دور العقل أو التّقليل من شأنه، إنّما وضعوه في موضعه الصّحيح بوصفه أداة لفهم النّصوص وتدبّرها واستنباط مقاصدها، لا مصدرا مستقلا للتّشريع أو لإنتاج القيم، وعلى هذا الأساس أكّد الإمام أحمد بن حنبل أنّ سلامة الاعتقاد والالتزام بالكتاب والسّنّة هما الأساس الذي تنبني عليه حياة المسلم العلميّة والعمليّة وهو ما انعكس في اهتمام مدرسة أهل الحديث بترسيخ القيم العليا كالصّدق، والأمانة، والإخلاص، والعدل والورع باعتبارها تمثّل الإيمان الصّحيح، وخير دليل على ذلك كتاب " السّنّة للإمام أحمد بن حنبل.[26]

وقد أكّد الإمام ابن تيميّة فيما بعد هذا التّصوّر مبيّنا أنّ العقل الصّريح لا يتعارض مع النّقل الصّحيح، وأنّ الشّريعة جاءت بما يحقّق مصالح العباد في دنياهم وأخراهم، وأنّ القيم الأخلاقيّة التي جاء بها الوحي تتوافق مع الفطرة السّليمة والعقل المستقيم، وإن بقي الوحي هو المرجع الأساس عند التّعارض الظّاهري، يقول ابن تيميّة في كتابه " درء تعارض العقل والنّقل": " وفي هذا الكتاب بيان في انتفاء المعارض العقلي، وإبطال قول من زعم تقديم الأدلّة العقليّة مطلقا."[27]

والذي نستنتجه أنّ منهج أهل الحديث أسهم في ترسيخ منظومة أخلاقية ذات مرجعيّة نصّيّة تقوم على التّلازم بين الإيمان والعمل، وبين العقيدة والسّلوك، وهذا المنهج يؤكّد على أنّ إصلاح الإنسان يبدأ بإصلاح معتقده ثم ينعكس في سلوكه ومعاملاته، وهذا التّصوّر يمثّل أحد الرّوافد الأساسيّة التي أسهمت في بناء المنظومة الأخلاقيّة في الفكر الإسلامي.

المبحث الثالث: تجلّيات أثر الاختلافات الكلاميّة في تشكيل المنظومة الأخلاقيّة في الإسلام.

1- أثر الاختلافات الكلاميّة في بناء مفهوم الحرّيّة والمسؤوليّة الأخلاقيّة.

من أكثر القضايا التي تجلّى فيها أثر الاختلافات الكلاميّة في بناء المنظومة الأخلاقيّة الإسلاميّة هي مسألة الحرّيّة والمسؤوليّة، إذ أنّ تحديد مدى حرّيّة الإنسان في أفعاله لأنّ تحديد مدى حرّيّة الإنسان في أفعاله يرتبط مباشرة بمفهوم التّكليف واستحقاق الثّواب والعقاب ومعيار المحاسبة الأخلاقيّة ومن هذا المنطلق لم يكن الخلاف بين المتكلّمين حول أفعال العباد خلافا عقديّا مجرّدا، بل كان خلافا يمتدّ إلى تحديد الأساس الذي تقوم عليه المسؤوليّة الأخلاقيّة.

انطلقت المعتزلة من أصل العدل الإلهي ورأت أنّ عدل الله تعالى يستوجب أن يكون الإنسان مختارا في أفعاله، لأنّ التّكليف حسب رؤيتهم لا يستقيم إلاّ مع ثبوت القدرة والاختيار. وبناء على ذلك جعلت المعتزلة الحرّيّة أساسا للمسؤوليّة الأخلاقيّة، ورأت أنّ الإنسان مسؤولا على أفعاله لأنّه يصدرها بإرادته، وهذا منح الفعل الأخلاقي بعدا عقلانيّا يقوم على الاختيار الواعي.[28]

أمّا الأشاعرة رأوا أنّ مبدأ عموم القدرة الإلهيّة هي الأصل وفسّروا أفعال العباد في ضوء نظريّة الكسب، التي تقرّر أنّ الله تعالى خالق الأفعال، بينما يكتسبها الإنسان، وهكذا يظلّ مسؤولا عنها شرعا. وعلى الرّغم من اختلاف الرّؤية الأشعريّة عن الرؤية المعتزليّة فإنّ اختلاف هذا التصور لم ينف المسؤوليّة الأخلاقيّة عند المذهبين.

وسلكت الماتريديّة مسلكا وسطا، فأثبتت للإنسان قدرة حقيقيّة بها يتعلّق التّكليف، مع تأكيد شمول القدرة الإلهيّة، وبذلك حاولت تحقيق التّوازن بين حفظ عدل الله تعالى وإثبات مسؤوليّة الإنسان عن أفعاله.

وعندما ننتقل إلى أهل الحديث فإننا نجد كلّ تركيزهم على ما دلّت عليه النّصوص الشرعيّة من إثبات قدرة الإنسان واختياره مع الإيمان بأنّ كلّ شيء داخل في علم الله تعالى ومشيئته، دون الخوض في التّفاصيل الكلاميّة التي شغلت المدارس الأخرى. فكان اهتمامهم منصبّا على الجانب العملي، مؤكّدين أنّ الإنسان محاسب على أفعاله، وأنّ صدق الإيمان يظهر في الالتزام الأخلاقي والعمل الصّالح.

رغم تباين المدارس الكلاميّة في منطلقاتها فإنّها قد اتفقت على إثبات المسؤوليّة الأخلاقية وإن اختلفت في الأساس النظري الذي تقوم عليه، فالمعتزلة جعلتها ثمرة للحرّيّة العقليّة، وربطها الأشاعرة بنظريّة الكسب، بينما أقامت الماتريديّة تصوّرها على التّوازن بين العقل والنّقل، وربطها أهل الحديث بالامتثال للنّصوص الشّرعيّة.

إنّ هذا التّنوّع يؤكّد أنّ الجدل الكلامي لم يكن عائقا أمام بناء الأخلاق، بل أسهم في تعميق البحث في مفهوم المسؤوليّة، وتقديم تصوّرات متعدّدة أغنت الفكر الإسلامي وأبرزت ثراءه في معالجة إحدى أهم القضايا الأخلاقيّة.

---

[26] - ابن حنبل (أحمد)، كتاب السّنّة، دط، المطبعة السّلفيّة ومكتبتها، مكّة المكرّمة، 1349هـ.

[27] - ابن تيميّة، درء تعارض العقل والنّقل، تح: محمد رشاد سالم، دط، ددن، دت، ص32.

[28] - ينظر: القاضي عبد الجبّار، شرح الأصول الخمسة، المصدر السّابق: الأصل "الثّاني العدل" صص 301-325.

2- أثر الاختلافات الكلاميّة في بناء مفهوم العدل والقيمة الأخلاقيّة

إنّ البحث في مصدر القيمة الأخلاقيّة يمثل أحد أعمق الإشكالات التي عرفها الفكر الكلامي، فالخلاف بين المتكلّمين لم يكن منصبّا على القيم ذاتها وإنّما على الأساس الذي تستمدّ منه إلزامها، فالكلّ اتّفق على مركزيّة قيم العدل والصّدق والأمانة والوفاء، غير أنّ السّؤال الذي ظلّ حاضرا هوّ: هل تكتسب هذه القيم مشروعيّتها من طبيعتها العقليّة، أم من الخطاب الشّرعي الذي يمنحها صفة الإلزام؟

إنّ هذا السّؤال أسهم في بلورة مذاهب كلاميّة مختلفة المشارب، لكلّ منها منطقه الدّاخلي. فالقول بأنّ العقل بمفرده قادر على إدراك الحسن والقبح أفضى إلى اعتبار القيمة الأخلاقيّة موضوعيّة، وأنّ الإنسان يستطيع بما أودع الله فيه من عقل، أن يميّز بين الخير والشّر، وهو ما يفسّر إصرار المعتزلة على ربط العدل الإلهي بحرّيّة الإنسان ومسؤوليّته. ومن هذا المنطلق لم يعد العدل مجرّد قيمة دينيّة، بل أصبح مبدأ عقليّا يحكم علاقة الإنسان بربّه وبغيره، ويؤسّس لمشروعيّة الثّواب والعقاب.

وفي مقابل هذا التّصوّر، برز اتّجاه يرى أنّ القيمة الأخلاقيّة لا تنفصل عن الوحي. لأنّ الإلزام لا يتحقّق بمجرّد إدراك العقل لحسن الفعل أو قبحه، إنّما يكتسب معناه الكامل من الأمر الإلهي. وبهذا المعنى أعادت المدرسة الكلاميّة الأشعريّة توجيه النّقاش من البحث في طبيعة الأفعال إلى البحث في مرجعيّة الأحكام مؤكّدة أنّ الوحي هو الضّامن لثبات القيم ووحدتها وأنّ العقل يؤدّي وظيفة الفهم والاستدلال دون أن يستقلّ بإيجاد معيار أخلاقي ملزم.

أمّا الماتريديّة فلم تقف عند حدود هذا التّقابل، بل حاولت بناء رؤية أكثر توازنا، تجعل العقل قادرا على إدراك المبادئ الأخلاقيّ العامّة في حين يتولّى العقل استكمالها وبيان آثارها التّشريعيّة. وهذه المحاولة تكشف عن أهمّيّة التّكامل بين العقل والنّقل في تأسيس المنظومة الأخلاقيّة. بعيدا عن منطق التّعارض أو الإقصاء.

وانصرف اهتمام أهل الحديث إلى البعد التّطبيقي للأخلاق أكثر من انشغالهم بالتّنظير لمصدرها، فربطوا استقامة السّلوك بصدق الإتباع وجعلوا القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة المشرّفة المرجع العملي الذي تتجسّد فيه القيم الأخلاقيّة. ومن هذا المنطلق فإنّ القيمة عندهم لا تفهم في إطار الجدل النّظري، وإنّما في إطار الامتثال الذي يحوّل المبادئ إلى ممارسة وسلوك.

وهذا التّعدّد في المقاربات يكشف أنّ علم الكلام لم يكن ساحة للخلاف العقدي فحسب، بل كان مجالا لإنتاج رؤى أخلاقيّة متكاملة، أفضت إلى تعميق التّفكير في مصدر الإلزام، وحدود العقل ووظيفة الوحي، وهو ما منح المنظومة الأخلاقيّة الإسلاميّة ثراء نظريّا مكّنها من استيعاب اجتهادات متنوّعة مع المحافظة على وحدة مقاصدها ومرجعيّتها الإسلاميّة.

3- التّعدّد الكلامي وإثراء المنظومة الأخلاقيّة الإسلاميّة.

عندما نتأمّل المسار التّاريخي لعلم الكلام ندرك أنّ تعدّد مدارسه لم يكن عاملا في تفكيك المنظومة الأخلاقيّة الإسلاميّة، بل كان مظهرا من مظاهر حيويّتها الفكريّة وقدرتها على استيعاب الاجتهادات المتنوّعة، فقد انصبّت جهود المتكلّمين على البحث في الأسس التي تقوم عليها القيم الأخلاقيّة ومحاولة تفسير العلاقة بين العقل والشّرع، وبين الحرّيّة الإنسانيّة والإرادة الإلهيّة، الأمر الذي أفضى إلى تعدّد المقاربات النّظريّة دون المساس بالمرجعيّة الإسلاميّة الجامعة.

ولئن اختلفت المدارس الكلاميّة في تحديد مصدر الإلزام الأخلاقي وحدود العقل في إدراك الحسن والقبح، فإنّ هذا الاختلاف لم يؤدّ إلى تعدّد القيم في ذاتها وإنّما كشف عن السّبل المؤدّية إلى تأصيلها والدّفاع عنها. فالعدل والصّدق والأمانة والرّحمة، والمسؤوليّة ظلّت قيما مشتركة بين مختلف الاتجاهات وإن تباينت منطلقاتها في تفسير أسسها النّظريّة.

إنّ هذا التّنوّع في الرّؤى يؤكّد أنّ الفكر الإسلامي لم يعرف نموذجا أحاديّا في بناء الأخلاق، بل احتضن تصوّرات متعدّدة تفاعلت فيما بينها، وأسهمت في تعميق البحث عن قضايا الإنسان، والتّكليف، والحرّيّة، والعدل. ومن ثمّ فإنّ الاختلاف الكلامي يمكن النّظر إليه بوصفه عنصرا من عناصر الثراء الفكري لا عاملا للتفرقة والانقسام، إذ مكّن من بناء خطاب أخلاقي أكثر قدرة على الاستجابة للأسئلة الفلسفيّة والكلاميّة التي أفرزتها البيئات الفكريّة المختلفة..

ومن هذا المنطلق يتبيّن لنا أنّ التّحوّلات الفكريّة المعاصرة اليوم تفرض إعادة قراءة التّراث الكلامي قراءة نقديّة تستثمر جوانبه الإيجابيّة، وتبرز ما يزخر به من إمكانات في معالجة الإشكالات الأخلاقيّة المعاصرة، بعيدا عن الاقتصار على البعد الجدلي الذي طغى على الكثير من الدّراسات.

إنّ استحضار هذا التّراث الكلامي في ضوء التّحدّيات الرّاهنة لا يهدف إلى استنساخ مواقفه، وإنّما الاستفادة من مناهجه في ترسيخ قيم العدل، والكرامة الإنسانيّة، والتّعايش والمسؤوليّة، بما يسهم في تجديد الخطاب الأخلاقي الإسلامي مع المحافظة على أصوله العقديّة ومقاصده الكلّيّة.

الخاتمة:

خلصت هذه الدّراسة إلى أنّ العلاقة بين الفرق الكلاميّة والمنظومة الأخلاقيّة في الإسلام علاقة تأسيس وتأثير متبادل، فعلم الكلام لم يكن مجرّد علم يعنى بالدّفاع عن العقائد والرّدّ على الخصوم، بل كان له دور في بلورة تصوّرات أخلاقيّة مختلفة، انطلقت من منطلقات عقديّة متباينة، انعكست على فهم قضايا الحريّة، والعدل، والمسؤوليّة والحسن والقبح، ومصدر الإلزام الأخلاقي. وقد أظهرت الدّراسة أنّ الاختلاف بين المدارس الكلاميّة لم يكن اختلافا في القيم الأخلاقيّة ذاتها، وإنّما في الأسس النّظريّة التي تقوم عليها وفي الكيفيّة التي تبرّر بها.

وقد توصّلت الدّراسة إلى مجموعة من النّتائج من أهمّها:

- أنّ المنظومة الأخلاقيّة في الإسلام ارتبطت ارتباطا وثيقا بالبناء العقدي، وهو ما جعل علم الكلام أحد الرّوافد الرّئيسة في تأسيس الفكر الأخلاقي الإسلامي.
- أنّ المعتزلة أقاموا رؤيتهم الأخلاقيّة على مركزيّة العقل والعدل الإلهي، وبالتّالي ربطوا المسؤوليّة الأخلاقيّة بحرّيّة الإنسان وقدرته على الاختيار.
- أنّ الأشاعرة جعلوا الوحي أساس الإلزام الأخلاقي، في حين سعت الماتريديّة إلى التّوفيق بين العقل والنّقل (الوحي) في تأسيس القيم.
- أنّ أهل الحديث ركّزوا على البعد التّطبيقي للأخلاق والسّلوك، وربطوا صلاح السّلوك بصحّة الاعتقاد والالتزام بالكتاب والسّنّة.
- أنّ التّعدّد الكلامي لم يؤدّ إلى تشتّت المنظومة الأخلاقيّة، بل ساهم في إثرائها بتصوّرات ومقاربات مختلفة، عكست حيويّة الفكر الإسلامي وقدرته على استيعاب الاختلاف داخل المرجعيّة الإسلاميّة.
- إنّ إعادة قراءة التّراث الكلامي في ضوء القضايا الأخلاقيّة المعاصرة تمثّل مدخلا علميّا مهمّا للإسهام في تجديد الخطاب الأخلاقي الإسلامي، واستثمار ما يزخر به هذا التّراث من إمكانات فكريّة في مواجهة الإشكالات الرّاهنة.

التّوصيات:

انطلاقا من النّتائج المتوصّل إليها يوصي البحث بـ:

- توسيع الدّراسات المقارنة بين المدارس الكلاميّة وغيرها من الاتجاهات الفكريّة في الإسلام، ولا سيما الفلسفة والتّصوّف وأصول الفقه، للكشف عن إسهامها في بناء النّظريّة الأخلاقيّة الإسلاميّة
- الدّعوة إلى الاستفادة من التّراث الكلامي في صياغة خطاب أخلاقي معاصر يجمع بين أصالة المرجعيّة الإسلاميّة ومتطلّبات الواقع الإسلامي.

المصادر والمراجع

المراجع العربيّة

- **القرآن الكريم**

1- البخاري، الجامع المسند الصّحيح، دط، الطبعة السلطانيّة بولاق: المطبعة الكبرى الأميريّة، 1313هـ، ج1.
2- ابن خلدون (عبد الرّحمان)، المقدّمة، ط1، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتوزيع بيروت لبنان2007.
3- الإيجي (عبد الرّحمان بن أحمد)، المواقف في علم الكلام، د.ط، عالم الكتب بيروت، د.ت.
4- الغزالي، (أبي حامد)، المنقذ من الضّلال والموصل إلى ذي العزّة والجلال، د.ط، دار الأندلس للطّباعة والنّشر والتّوزيع بيروت لبنان، دت.
5- الغزالي (أبو حامد محمّد)، إحياء علوم الدّين، دط، دار صادر بيروت لبنان، دت، ج3.
6- عبد الرّحمان (طه)، سؤال الأخلاق مساهمة في النّقد الأخلاقي للحداثة الغربيّة، ط1، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء المغرب 2000م.
7- ابن مسكويه (أبو على أحمد بن محمّد)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق تح: ابن الخطيب، ط1، مكتبة الثقافة الدّينيّة، القاهرة.
8- القاضي عبد الجبّار، شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، ط3، مكتبة وهبة،1416هـ/1996م.
9- الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين، تح: أحمد جاد، دط، دار الحديث، 1430هـ/2008م.
10- بحاري (عبد المجيد حسن)، عبدة (إبراهيم يوسف)، الأخلاق والقيم الإسلاميّة، ط1، الجامعة الإسلامية المدينة المنوّرة 1444 هـ.
11- الماتريدي، أبو منصور، كتاب التّوحيد، تح: عاصم إبراهيم الكلياني، ط1، دار الكتب العلميّة بيروت لبنان 2006.
12- الباقلاّني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدّلائل، تح: عماد الدّين أحمد حيدر، ط1، مؤسّسة الكتب الثّقافيّة بيروت لبنان 1407هـ/1987م.
13- ابن حنبل (أحمد)، كتاب السّنّة، دط، المطبعة السّلفيّة ومكتبتها، مكّة المكرّمة، 1349هـ.
14- ابن تيميّة، درء تعارض العقل والنّقل، تح: محمد رشاد سالم، دط، ددن، دت.

المراجع الأجنبيّة

1- George F Hourani, Rrason and Tradition in Islamic Ethics, Cambridge University Press, 1985.
2- Majd Fakhry, Ethical Theories in Islam,2nd expanded ed. Leiden : E.J. Brill, 1994.
3 - Josef, van Ess, Theology and Society in the Second and Third Centuries of the Hijra : A History of Religious Thought in Early Islam. Vol 1, translate by John O'Kane, Brill,2017.